

جهود المغاربة والأندلسيين في مجال العلوم العقلية على عهد الدولة الموحدية

Maghrebian and Andalusian efforts in the sciences of the mind during the Almohad period

سلطاني الجبيلي

soltanidjilali@hotmail.com

كلية العلوم الإسلامية / جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

تاريخ الاستلام: 2025/01/07 تاريخ القبول: 2025/01/27 تاريخ النشر: 2025/05/15

ملخص: لقد شهد العصر الموحيدي بالمغرب والأندلس نشاطا فكريا وعلميا، برز فيه أعلام في مختلف العلوم والفنون، والفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى حماية خلفاء الدولة لذلك النشاط، ورعايتهم لهؤلاء الأعلام، انطلاقا من الطابع الديني الذي اتسمت به دولتهم، فما من ميدان من ميادين الإنتاج العلمي، إلا واشتهر فيه علماء كبار، تركوا لنا أثارا ثمينة، وتأليف مفيدة، في جل الميادين العلمية والفكرية والبحث يروم إبراز هذا النشاط الفكري والعلمي الذي شهده هذا العصر، خصوصا ما تعلق منه بالعلوم العقلية من فلسفة ومنطق، وحساب وهندسة وفلك، وطب وصيدلة. وغيرها من العلوم الأخرى، وسنحاول عرضها بصفة عامة، ذاكرين أهم أعلامها، في مختلف فروع العلوم العقلية

الكلمات المفتاحية: العقلية، الجغرافيا، الطب، الصيدلة الحساب، الهندسة، الفلك

Résumé :

La période almohade au Maghreb et en Andalousie fut une période d'activité intellectuelle et scientifique marquée par l'émergence de personnalités éminentes dans diverses sciences, notamment grâce à la protection et au mécénat des successeurs de l'État, fondés sur le caractère religieux de leur État. Ainsi, aucun domaine de la production scientifique n'a été ignoré et de grands savants, célèbres, ont laissé des traces précieuses et des écrits utiles dans la plupart des domaines scientifiques et intellectuels. Cet article vise à éclairer l'activité intellectuelle et scientifique de cette période, notamment celle liée aux sciences mentales telles que la philosophie, la logique, l'arithmétique, l'ingénierie, l'astronomie, la médecine, la pharmacie et d'autres sciences. Nous tenterons de les présenter de manière générale, en mentionnant leurs figures les plus importantes dans les différentes branches des sciences mentales.

Mots-clés : Rationalisme, géographie, médecine, pharmacie, arithmétique, ingénierie, astronomie

مقدمة:

قوض الموحدون دولة المرابطين، حيث اتهموهم بالانحراف والجمود والتجسيم وجاءوا يحملون روحا ناثرة ضد الصوفية الفقهية، والمالكية المذهبية، التي جاء بها عبد الله ابن ياسين، وذلك ليدعموا مذهباً جديداً فيه تحررات حزمية، وصوفية غزالية، وثورة إصلاحية شاملة تأخذ من كل المذاهب الإسلامية المعروفة آنذاك⁽¹⁾. فإذا كانت الغاية المتوخاة من دعوة عبد الله بن ياسين، هي نشر الدين الإسلامي والتمكين لتعاليمه السمحة من النفوس، مستتبعا ذلك راية العلم والعرفان، فإن المهدي بن تومرت كان يرمي من وراء دعوته إلى غاية أبعد من غاية سلفه، وهي تحديد الدين، وهذه مهمة تقتضي من التوسع في العلم أكثر مما يقتضيه نشر الدين، فلذلك كانت العلوم على اختلافها من عقلية ونقلية ألزم للدعوة الموحدية من أختها المرابطية بطبيعة الحال⁽²⁾.

نعم، لقد بذرت بذور النهضة العلمية على أيام المرابطين، ولكنها نمت وترعرعت على عهد الموحدين، ولا أحد ينكر فضل الموحدين على المعارف، فإنهم حافظوا على ما اختاروه منها إلى حد كبير وشجعوها، كما شجعوا كثيرا من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظورا رواجها في العهد المرابطي، وطبعوا ذلك بطابعهم، وإن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغا عظيما، وكان تشجيعا ماديا وأديبا تفننوا فيه ما شاءت لهم همهم الكبيرة أن يتفننوا⁽³⁾.

وما لا ريب فيه، فإن الدولة الموحدية، بالرغم مما كان يقع فيه بعض خلفائها من ضروب المطاردة الفكرية، خصوصا فيما يتعلق أحيانا بالفلسفة أو المذهب المالكي، فإنها كانت دولة حامية للثقافة والعلوم والآداب، لقد كان مؤسس الدولة الموحدية الروحي، المهدي بن تومرت " عالما فقيها، روايا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، حافظا له، عارفا بالأصول، عالما في علم الاعتقاد والجدل "⁽⁴⁾، وقد أقام دعوته على العلم والأخذ بأسبابه، كما حض على تحصيله بقوة وحماسة، وذلك في عبارته المشهورة التي يفتتح بها كتابه، وهي: " أعز ما بطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، العلم الذي

1. الحسن السائح، الحضارة المغربية: 177/1.

2. عبد الله بن كنون، النبوغ المغربي: 118/1.

3. المنوني، حضارة الموحدين: 14، وينظر :

4. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 181.

جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطالب، وأفضل المكاسب، وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال" (5).

وكان أيضا، خليفته من بعده عبد المؤمن بن علي، " عالما بالجدل، فقيها في علم الأصول، حافظا للحديث الشريف، متقن الرواية، مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية، إماما في النحو واللغة والقراءات، ذاكرة للتاريخ وأيام الناس" (6). وعبد المؤمن هو الذي جمع الطلبة الحفاظ، من مختلف القبائل، وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش لتعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الدينية وأسس الدعوة الموحدية، حتى بلغ عددهم في أيامه ثلاثة آلاف طالب، وكان هدفه من تكوينهم، هو تهيئتهم لاستلام المناصب والوظائف الإدارية في الدولة الموحدية (7).

وكان ابنه أبو يعقوب يوسف، أعرف الناس كيف تكلمت العرب، وأحفظهم لأيامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام، وكان أيضا، أحسن الناس ألفاظا بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية، ذكر صاحب المعجب أنه كان يحفظ أحد الصحيحين، وأنه حفظه في حياة أبيه بعد تعلم القرآن، وكان له مشاركة في الفقه وعلم الأدب، واهتم بالفلسفة وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي، وكان يصحبه من العلماء طائفة من أكبر علماء العصر ومفكره، يتقدمهم أبو بكر بن عبد الملك بن زهر، وهم أساتذة الفلسفة والطب في هذا العصر (8).

وكان الخليفة يعقوب المنصور عالما بالحديث والفقه واللغة، مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا، محبا في العلماء، معظما لهم صادرا عن رأيهم. يجري المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم كل على قدر مرتبته (9).

5. محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب: 29.

6. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 203.

7. ينظر عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين": 646/2، د. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: 332.

8. المراكشي، المعجب: 237-243، عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين و الموحدين": 646/2،

9. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 216.

ويبدو أن ظاهرة الاهتمام بالعلم والعلماء ظاهرة عامة عند أغلب خلفاء الدولة الموحدية، سواء تعلق الأمر بأيام عظمتها وقوتها أو أيام ضعفها وهوانها، لأننا نجد من الخلفاء في عهد تفكك الدولة، من يتسم بالصفات العلمية البارزة، فقد كان إدريس الملقب بالمأمون "فصيح الصوت والتلاوة، إماما في علم اللغة العربية والمعرفة بالأدب وأيام الناس، كاتباً بليغاً، له التوقعات العجيبة، إماما في الحديث، لم يزل أيام خلافته يقرأ كتاب الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبي داود، عالماً بأمور الدين والدنيا" (10).

وكان الخليفة المرتضى لأمر الله، فقيها وأديبا وشاعرا، وكانت هذه الصفات العلمية للأواخر من الخلفاء الموحدين، تبرز على ما عداها، بالرغم مما كانت تتردى فيه الدولة من الفتن والحروب الأهلية المتواصلة (11).

وما دامت السمة العلمية هي الغالبة على خلفاء الدولة الموحدية، فإنهم عملوا على جلب العلماء إلى حواضرهم بالمغرب، فقد كان الخليفة عبد المؤمن -على سبيل المثال- يستدعي العلماء إلى الكون عنده، والجوار بحضورته ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم، وكان ابنه الخليفة يوسف، يبحث عن العلماء، وخاصة أهل علم النظر، إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب (12).

وقد تشبه هؤلاء الخلفاء ببني العباس في مجالسهم التي كانوا يعقدونها في قصورهم، فكانوا يشهدونها بأنفسهم، ويشاركون فيها بالحوار والمناقشة، وقد أثمرت هذه المجالس، ازدهارا في الحركة العلمية للبلاد، وارتقاء للنواحي الثقافية.

ولم يقف خلفاء الدولة عند عقد هذه المجالس وكفى، بل بادروا إلى بناء المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس وغير ذلك، فقد أسس عبد المؤمن مدارس بمراكش والرباط، واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها، وأنشأ يعقوب المنصور مدارس ومساجد في المغرب وإفريقية والأندلس (13) وهي منشآت كان لها أثر بالغ في دفع الحركة التعليمية بالبلاد، إذ أضحت مقصدا لطلاب العلم، يأتون إليها من أماكن متفرقة ينهلون العلم من علمائها وأساتذتها، حتى "أصبحت المدن المغربية تعج بطلاب العلم

10. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 249.

11. عبد الله عنان، دولة الإسلام "عصر المرابطين والموحدين": 646/2.

12. المراكشي، المعجب: 200-201، 239.

13. المنوني، حضارة الموحدين: 17.

والعلماء، وصارت تلك المساجد والمدارس تشهد المناقشات الفقهية واللغوية والأدبية وغير ذلك مما حفلت به الحياة الفكرية في البلاد، وصارت المدن المغربية نجوما تتلألأ بما فيها من معارف وعلوم" (14).

والذي تجب الإشارة إليه، أن هذا الإقبال على العلم والرحلة إليه، ساعد عليه استقرار الأوضاع في البلاد، فقد استطاع الموحدون توحيد أقطار المغرب والأندلس في ظل حكومة مركزية واحدة، إذ امتدت حدودهم شرقا إلى إفريقيا وهي تشتمل على معظم الشمال الإفريقي بالإضافة للأندلس، وقد صاحب ذلك تدفق الأموال على عاصمة الخلافة وازدهار في الحياة الاقتصادية، وهذا بدوره يهيئ المناخ العلمي الذي يدرس فيه الطلبة ويجعلهم يقبلون على البحث والتحصيل (15). وفي ظل الاستقرار وتشجيع الحكام للعلم والعلماء نمت الحركة الفكرية وترعرعت فروعها حتى صارت واحة الظلال تعطي أطيب الثمار، فما من ميدان من ميادين الإنتاج العلمي، إلا واشتهر فيه علماء كبار، تركوا لنا أثارا ثمينة، وتأليف مفيدة، في جل الميادين العلمية.

والحق أنه، إذا ما أردنا خلال هذا البحث أن نلم بسائر جوانب الحركة العلمية التي شهدتها العصر، فإن الأمر يصعب علينا، لأن ذلك لا يستوعب إلا في بحث خاص يفرد للدراسة في هذا المجال، وسنحاول عرضها بصفة عامة، ذاكرين أهم أعلامها، في مختلف فروع العلوم القليلة.

1. (الفلسفة، المنطق) :

كان لقيام الدعوة الموحدية بالمغرب أثر كبير في التحرر الفكري ومحاربة الجمود الفكري، إذ انطلقت الفلسفة من عقائدها، وانتشرت انتشارا واسعا لم تبلغه في أي عصر من عصور المغرب الإسلامي، فكان الموحدون أشبه الدول الإسلامية بالعباسيين في الأخذ ببعض هذه العلوم وتنشيط رجالها، لكن "أرأى عليهم في ذلك كإرباء المأمون على سائر العباسيين يوسف بن عبد المؤمن، فهو مأمون هذه الدولة الذي ناصر علوم الفلسفة ووالى أهلها، وكان هو نفسه متحققا بكثير من أجزائها مشاركا في جملة من فنونها" (16)، وفيه يقول صاحب المعجب: "ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزائها، وبدأ من ذلك بعلم الطب، فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره، مما يتعلق

14. د. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: 447.

15. لمرجع نفسه: 448.

16. عبد الله كنون، النبوغ المغربي: 133/1.

بالعلم خاصة دون العمل، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة، وأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي⁽¹⁷⁾.

وكما جمع كتب الفلسفة، جمع إليه أيضا علماءها وقربهم إليه، وكان في مقدمتهم أبو بكر محمد بن طفيل (ت 581هـ)، فقد شغف الخليفة يوسف بملازمته والأخذ عليه، فكان يقيم في القصر عنده أياما ليلا ونهارا لا يظهر⁽¹⁸⁾.

وكان أبو بكر بن طفيل متحققا بجميع أجزاء الفلسفة، له تصانيف في أنواعها من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، أشهرها رسالة سماها "حي بن يقضان" و"رسالة في النفس"، وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشرعة، لكنه انصرف في آخر عمره إلى العناية بالعلم الإلهي ونبت ما سواه⁽¹⁹⁾.

وابن طفيل هو الذي نبه الخليفة يوسف على أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت 595هـ)، فحظي بالرعاية والاهتمام، وكان من أثار هذه الرعاية وهذا الاهتمام، أن عينه الخليفة طبيا خاصا له إلى جانب ابن طفيل، ولما توفي الخليفة يوسف سنة 580هـ، وخلفه ولده يعقوب المنصور، بقي ابن رشد طبيبه الخاص، ثم انفرد بالمنصب بعد وفاة ابن طفيل (581هـ)، وظل على مكانته يلقي نفس التقدير والرعاية عند المنصور مثلما لقيه والده يوسف، إلى أن أصابته النكبة، مثلما أصابت غيره ممن يشتغلون بعلوم الفلسفة، ويرجع المراكشي ذلك إلى سببين اثنين: جلي وخفي، فأما الخفي فهو أن ابن رشد ذكر- في شرحه لكتاب "لأرسطوطاليس"- الزرافة وكيف تتولد وبأي أرض تنشأ وقال: "وقد رأيتها عند ملك البربر"، فكانت هذه العبارة في نظر المنصور إهانة في حقه وحق الموحدين، وأما الخفي فهو سعاية بعض المناوئين له عند الخليفة، فاتهموه بالانحراف والمروق، وعرفوا المنصور بأن ابن رشد يذكر في بعض تلاخيصه، أن الزهرة أحد الآلهة، فأمر بإحضاره ومحاكمته، وانتهى الحكم باتهام ابن رشد بالزندقة، فجرد من منصبه ونفي إلى اليسانة على مقربة من قرطبة، وبعد ثلاثة أعوام عفا عنه المنصور، وردّه إلى سابق منصبه، ولكنه لم يمكث فيه إلا فترة قصيرة وتوفي في مراكش سنة 595هـ⁽²⁰⁾.

R.Dozy, Essai sur l'Histoire de l'islamisme p

17. المراكشي، المعجب: 238، وينظر:

378.

René millet, les Alamohades p 106-107

18. المصدر نفسه: 240، وينظر:

19. المصدر نفسه: 240، وينظر الإحاطة: 482-476/2.

20. المراكشي، المعجب: 305-306، بالثبنا، تاريخ الفكر الأندلسي: 351-354، دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام:

385-384.

ولابن رشد كتب كثيرة في الفلسفة، والفلك والطب والنفس والأخلاق وغيرها قد يبلغ عددها 78 كتاباً، ولكن الذي وصل إلينا قليل العدد، نذكر منها في الفلسفة: جوامع كتب أرسطوطاليس، تلخيص كتاب البرهان، وتلخيص كتاب ما بعد الطبيعة، تلخيص كتاب القياس لأرسطو، مقالة في القياس، ما خلف به الفارابي أرسطو، فصل المقال بين الحكمة والشرعية في الاتصال، رسالة في التوحيد والفلسفة، تهافت التهافت في رد علي الغزالي إلى غير ذلك من الكتب التي دلت على عظمته في هذا العلم، وجعلته يتفرد عن الفلاسفة المسلمين⁽²¹⁾.

ومن أعلام المفكرين والفلاسفة الأندلسيين، أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي الأندلسي الإسرائيلي (ت 602هـ)، كان أعظم المفكرين اليهود في العصور الوسطى، برع في الطب والفلسفة والدراسات التلمودية، عاصر خلافة عبد المؤمن بن علي، الذي أصدر قراره الشهير بنفي النصاري واليهود من المغرب والأندلس، إلا من اعتنق الإسلام منهم، ومن بقي ولم يعتنق الإسلام، حل ماله ودمه، وكان ابن ميمون من الذين استتروا بمزاولة شعائر الإسلام، وظل على تلك الحال، حتى سنحت له الفرصة لمغادرة المغرب، فغادرها ونزل أهل مصر، وسكن القاهرة سنة (561 هـ) وقد ترك ابن ميمون مؤلفات في الفلسفة منها: "دلالة الحائرين" في شرح فلسفة أرسطو، ومقالة في صناعة المنطق، وكان لكتابات ابن ميمون الدينية والفلسفية تأثير عظيم في التفكير الأوروبي في العصور الوسطى⁽²²⁾.

2-: (الحساب، الهندسة، الفلك والنجوم):

نضجت العلوم الرياضية نضجة لم تعهدها من قبل، فقد أولتها الدولة أهمية كبرى، نظرا لحاجتها إلى متخصصين فيها، يعرفون علم المواريث وعلم الفلك "التنجيم" وعلم مواقيت الصلاة، وعلم هندسة البناء، فكان الحساب مادة دراسية هامة مقررة عند الموحدين، وممن اشتغل بتدريسها، أبو القاسم عبد المنعم بن أحمد المراكشي (كان حيا سنة 598هـ)، أخذ عنه علم الحساب بفاس، وذكر ابن الأبار أنه وقف على خطه بالإجازة لبعض الطلبة في هذا العلم، وكان أبو القاسم إلى جانب معرفته بالحساب، من أهل الدراية بالعربية والأدب⁽²³⁾.

21 ينظر رمزي نجار، الفلسفة العربية في التاريخ: 281-283.

22 ينظر عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين و الموحدين": 723/2-724.

23 ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس: 118/2.

وأبو الحسن بن علي بن محمد ابن فرحون القبسي القرطبي (601هـ) رحل إلى فاس وسكنها مدة، حيث أقرأ بها الحساب، وكان ماهرا في الحساب عارفا بفرائض الموارث، ألف في هذا الباب كتابا سماه "لباب الألباب في بيان مسائل الحساب" وقد حدث به وسمع منه بفاس سنة 587هـ.

ومن اشتغل بالحساب أيضا، الفقيه عبد الله بن محمد بن حجاج الفندلاوي الفاسي المعروف بابن الياسمين، توفي قتيلا سنة 601هـ، الذي خدم المنصور والناصر، له أرجوزة في الجبر والقبالة، تجاوزت شهرتها المغرب، وقد قرئت عليه وسمعت منه بإشبيلية⁽²⁴⁾.

وأبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي (ت 622هـ)، كان إماما في الفرائض والحساب والبرهان عارفا بالسجلات والتوثيق⁽²⁵⁾.

وأما الهندسة، فلم تكن أقل حظ من الحساب، فقد كان الاعتناء بها كبيرا، ويشهد على ذلك العدد الضخم من المهندسين الذين قاموا بتنفيذ أمر عبد المؤمن الخاص بتكسير (مسح) بلاد إفريقية والمغرب، من برقة إلى بلاد نول في السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا، وكان غرضه في ذلك تقسيط الخراج على جميع هذه البلاد⁽²⁶⁾.

ومن أقطاب الهندسة، المهندس الحاج يعيش، المعروف بالأحوص المالقي، الذي أشرف على بناء مدينة جبل طارق، بأمر من الخليفة عبد المؤمن لتكون نزلا لجيش الموحدين حين يعبر إلى الأندلس⁽²⁷⁾، والأحوص هو "الذي تولى صنع المقصورة البديعة الصنع، ليعقوب المنصور، فهي راقية بالنسبة لعصرها، ناطقة بتقدم المغاربة في هذا الشأن، ولقد تكلم عنها الشعراء عند انتهاء العمل منها، وأجادوا في وصفها، منهم أبو بكر بن مجبر شاعر المنصور⁽²⁸⁾".

والمهندس المشهور أبو جعفر أحمد بن حسان القضاعي البلنسي (ت 598هـ)، صنع شكلا هندسيا لاستخراج القبلة ليعقوب المنصور بمراكش، وإليه ينسب جامع حسان بالرباط.

24 المصدر نفسه: 109، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية: 39.

25 د.عباس الجراري، أبو الربيع سليمان الموحدي: 39.

26 ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 198-199.

27 ينظر مؤلف مجهول، الحلل الموشية: 155، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 199، عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب: 369.

28 عبد الهادي الحسيسن، مظاهر النهضة الحديثة، 1/151.

وأما علم الفلك والنجوم ، فقد كان محبوبا عند المغاربة مشجعا لدى الخلفاء الموحدين، خصوصا وأن صاحب دعوتهم المهدي بن تومرت كان كما وصفه المراكشي: "أوحد عصره في علم خط الرمل، مع أنه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين وجفور من بعض خزائن خلفاء بني العباس، وأوصله إلى ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن"⁽²⁹⁾. وهو بهذا العلم استطاع أن يختار عبد المؤمن من بين تلامذته ليكون خليفته، وقد عرفه -وهو إذ ذاك متوجه إلى المشرق لطلب العلم- بالعلامات التي كانت عنده⁽³⁰⁾. فلا عجب إذا ما وجدنا بعضا من خلفاء الدولة الموحدية، من هذا حذو المهدي في هذا الاتجاه، خصوصا الخليفة المنصور، الذي أبدى اهتماما كبيرا بعلم النجوم، حتى إنه لما نكب بابن رشد وأمر بإحراق كتب الفلسفة كلها استثنى منها "ما كان من الطب والحساب وما يتوصل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار وأخذ سمة القبلة، فانتشرت هذه الكتب في سائر البلاد وعمل بمقتضاها"⁽³¹⁾.

ولما أسس المنصور مسجد إشبيلية الكبير، زوده ببرج عال، سمي هذا البرج فيما بعد بالجيرالدا GIRALDA، وقد استعمله مرصدا لرصد النجوم، فكان أول مرصد بني في أوربا، والمنصور نفسه وضع أزياجا فلكية عن كسوف الشمس⁽³²⁾.

ومن علماء الفلك والنجوم في هذا العهد، أبو إسحاق البترجي المراكشي (ت 601هـ) ، اخترع في ترتيب الأفلاك والمراكز طريقة جديدة مبنية على تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية، التي كان عليها أهل الأحقاب الخالية، ألف رسالة عن الأجرام ترجمت إلى اللاتينية وطبعت، ويعرف البترجي عند علماء الغرب باسمه اللاتيني Alpetraguis⁽³³⁾.

ومحمد عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشبلي الفاسي (ت 639هـ)، كانت له معرفة بالأوقات والنجوم⁽³⁴⁾.

وأكبر علماء الفلك على هذا العهد، أبو علي حسن بن علي المراكشي (ت 660هـ) له كتاب: "المبادئ والغايات في علم الميقات" وهو أعظم ما ألف في هذا الباب، وعلى هذا الكتاب قامت شهرة

29 المراكشي، المعجب: 180.

30 المصدر نفسه: 180.

31 المراكشي ، المعجب: 180

32 ينظر أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين: 254/2، 255، 260، المنوني ، حضارة الموحدين: 260.

33 المنوني، حضارة الموحدين: 78، ينظر عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين": 717/2.

34 المنونن حضارة الموحدين: 80.

المراكشي بين علماء الغرب واعتبروه من أعظم فلكي المغرب، وقد ترجم سيدنو أهمه إلى الفرنسية، ونقل البارون كارادفو فصلا منه يتعلق بالأسطرلاب⁽³⁵⁾.

3-: (الجغرافيا، الطب، الصيدلة)

لقد نهضت العلوم الطبيعية نهضة عظيمة في عهد الدولة الموحدية، وبرز فيها مجموعة من العلماء دفعت عجلة هذه العلوم إلى الأمام، وحققت مكائنتها العلمية في القرون الوسطى.

ففي الجغرافية، برز في نهاية عهد الدولة المرابطية، أعظم جغرافي عرفه التاريخ وقتئذ، هو الشريف الإدريسي (ت 562هـ) صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"⁽³⁶⁾، وفيه وضع المقاييس الصحيحة للجغرافية الرياضية والسياسية والاقتصادية، وإن كان الإدريسي من نتاج الدولة المرابطية لكونه تلقى ثقافته وتكوينه في ظلها، وانتهى من تأليف كتابه سنة 548هـ⁽³⁷⁾، فإنه فتح السبيل ومهد الطريق للباحثين والعلماء في علم الجغرافية، ومن هؤلاء العلماء، صاحب كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" وهو شخصية مشهورة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، كان من خواص طلبة الموحدين، ويعتبر الكتاب مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخية وأثرية، وقد وصف فيه مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب⁽³⁸⁾.

والحافظ محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي الأندلسي (ت في أواخر القرن السادس الهجري)، كان معاصرا لأبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن حينما كان واليا على غرناطة (556-571هـ)، ألف كتابا سماه "فرحة الأنفس" في قسمين، سمي الأولى منه "فرحة الأنفس للأثار الأولية في الأندلس" (وهو قسم تاريخي أدبي أفرد لفضلاء العصر من أهل الأندلس)⁽³⁹⁾.

وعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت في حدود 625هـ) صاحب كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ذكر فيه أقاليم المغرب وعين مدنها، وحدد ما بينها من المراحل عددا، انطلقا من

35 عبد الله كنون، النبوغ المغربي: 157/1.

36 ينظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت.).

37 سنظر سلامة الهري، دولة المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين: 349، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ: 355/1.

38 ينظر مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، المقدمة، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد:

1986م.

39 ينظر د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: 477/5.

برقة إلى السوس الأقصى، وذكر فيه أيضا جزيرة الأندلس وأنهاها الكبيرة المشهورة، وما يملكه المسلمون من مدنها (40).

وإلى جانب الجغرافية، فقد عرف العصر أشخاصا رحالين جابوا بلاد المغرب والمشرق وغيرهما، منهم أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن الربيع ابن عبد الصمد المازني القيرواني الغرناطي الأندلسي المغربي (ت 565هـ)، دون رحلته في كتاب "العرب في عجائب المشرق والمغرب" (41)، وابن جببر الكنتاني الأندلسي (ت 614هـ) صاحب الرحلة المشهورة باسمه (42).

ونال الطب عناية الموحدين، خصوصا في عهد عظمة الدولة وقوتها، فقد كان الخليفة يوسف شغوفاً بعلم الطب، فاستظهر من الكتاب الطبي المعروف "بالملكي" (43) أكثره، وأنشأ ولده المنصور بمدينة مراكش مستشفى وصفه المراكشي فقال: "ما أظن أن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين إتقانه على أحسن الوجوه، فأثقفوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحريز والأديم وغيره، مما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه الخاصة، خارجا عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيدالة لعمل الأثرية والأدهان والأكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم، من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض، فإن كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وإن كان غنيا دفع إليه ماله وترك وسببه.. ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كان من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله، يعود المرضى ويسأل عن أهل بيت، يقول: كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ إلى غير لك من السؤال، ثم يخرج، لم يزل مستمرا على هذا إلى أن مات رحمه الله" (44).

40 ينظر المنوني، حضارة الموحدين: 65، المراكشي، المعجب، وقد استعملناه في هاذ البحث.

41 ينظر د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: 390/5-398.

24 ينظر ابن عبد الملك، الذيل والتكملة: ج5، ق1/595-621.

34 ينظر المراكشي، المعجب: 240.

44 المصدر نفسه: 287-288.

ومن الأطباء الذين إزدان بهم هذا العصر، أبو بكر محمد بن أبي مروان بن عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر الأيادي الإشبيلي (ت 596هـ)، أخذ صناعة الطب عن والده، وباشر أعمالها، حتى أصبح أعلم الناس بصناعة الطب، مشهورا في بلاد الأندلس والمغرب، خدم المرابطين في آخر عهدهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى خدمة خلفاء الدولة الموحدية، ابتداء بالخليفة عبد المؤمن وانتهاء بالخليفة الناصر، فبلغ في ظلهم ذروة الجاه والنفوذ، وكان أبو بكر عارفا بالحديث والأدب واللغة، ولكنه مال إلى الطب فتفوق في صناعته، وألف الترياق الخمسيني للخليفة يعقوب المنصور، توفي بمراكش عهد الخليفة الناصر وصلى عليه ودفن بروضة الأمراء⁽⁴⁵⁾.

وأبو الحكم عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلندة الأموي السرقسطي (ت 581هـ)، برع في الأدب والشعر، واشتغل بصناعة الطب، فذاع صيته كطبيب ماهر في العلاج رحل إلى المغرب في أواخر حياته، وسكن مدينة مراكش بقية عمره⁽⁴⁶⁾.

وأبو محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر محمد بن أبي مروان بن عبد الملك ابن أبي العلاء بن زهر الأيادي الإشبيلي (ت 602هـ)، كان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها، والتحقيق لمعانيها، كان الخليفة الناصر يحترمه ويقدره⁽⁴⁷⁾.

وأبو جعفر أحمد بن جريح (ت 600 هـ)، كان فاضلا عالما بصناعة الطب، جيد المعرفة لها، حسن التأني في أعمالها، خدم الخليفة المنصور بطبه، ثم ابنه الناصر من بعده، وتوفي أبو جعفر بتلمسان⁽⁴⁸⁾.

وأبو بكر بن الفقيه القاضي أبي الحسن الزهري القرشي الإشبيلي (ت في عهد المستنصر)، كان أحد الفضلاء في صناعة الطب والمعروفين بها، خدم بطبه السيد أبا علي بن عبد المؤمن ووالي إشبيلية، يداوي الناس من دون أجر ويكتب النسخ لهم⁽⁴⁹⁾.

45 ينظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء: 521-528.

46 عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين": 712/2.

47 ينظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء: 528-530.

48 المصدر نفسه: 537.

49 المصدر نفسه: 536.

ومن برز في ميدان الصيدلة، وأدرك خصائص الأعشاب، أبو علي حسن بن أحمد بن عمر بن مفرج البكري الأشبوني، المعروف بالزرقالة (ت 613هـ)، درس الحديث والأدب، ولكنه مهر في الطب والعلاج، وفي تمييز النبات والعشب، ففاق في ذلك أهل عصره⁽⁵⁰⁾.

وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج البناي المعروف بابن الرومية الإشبيلي (ت 637هـ)، كان إلى جانب معرفته للحديث، متقنا لعلم النبات، وصفه ابن الخطيب بأنه "عجيبة نوع الإنسان في عصره، وما قبله، وما بعده في معرفة علم النبات، وتمييز العشب وتحليلها، وإثبات أعيانها، على اختلاف أطوار منابتها، بمشرق أو مغرب، حسا ومشاهدة وتحقيقا، لا مدافع له في ذلك، ولا منازع، حجة لا ترد ولا تدفع إليه يسلم في ذلك ويرجع، قام على الصناعتين، لوجود القدر المشترك بينهما، وهما الحديث والنبات إذ موادهما الرحلة والتقيد وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان وغير ذلك... كان كثير الشغف بالعلم، والدؤوب على تقييده ومداومته، سهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، وحاجات الناس إليه، إذ كان حسن العلاج في طبه المورد، الموضوع لثقتة ودينه" (51).

ولابن الرومية تصانيف عديدة، له منها في هذا الباب: "شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس"، والتنبيه على أوهام ترجمتها، و"التنبيه على أغلاط الغافقي"، و"الرحلة النباتية" و"المستدركة"، وكتاب في "الأدوية المفردة"، ويعتبر ابن الرومية أعظم العشابين والنباتين في العصور الوسطى⁽⁵²⁾.

وأبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار (ت 646هـ)، هو تلميذ ابن الرومية، كان أعظم علماء النبات بعد أستاذه، وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه "أوحد زمانه، وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره، ومواضع نباته، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها"⁽⁵³⁾، ألف فيه كتباً منها: "شرح أدوية كتاب دياسقوريدوس" وكتاب "الجامع في الأدوية المفردة"، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة وأسماءها وتحريرها وقواها ومنافعها، وكتاب "الأفعال الغريبة والخواص العجيبة". وهي كتب دلت على براعته وغازاة علمه، ودقة فهمه لكتب الأقدمين. وعلى الجملة، فإن ما شهدته العصر من نشاط فكري

50. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين": 715/2.

51. ابن الخطيب، الإحاطة: 208/1.

52. المصدر نفسه: 212-213/1، وينظر، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء: 538، عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس

"عصر المرابطين والموحدين": 715-716.

53. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء: 601.

وعلمي، وما بزر فيه من أعلام في مختلف العلوم والفنون، فإن الفضل في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى حماية خلفاء الدولة لذلك النشاط ، ورعايتهم لهؤلاء الأعلام، انطلاقاً من الطابع الديني الذي اتسمت به دولتهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

المصادر والمراجع :

1. السائح : الحسن ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء : ط 1 1975 م .
- 2 - كنون : عبد الله ، النبوغ المغربي ، طنجة : ط 2 1960 م .
- 3 - المنوني : محمد ، حضارة الموحدين ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء : ط 1 1989 م .
- 4 - ابن أبي زرع: أبو علي بن عبد الله الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط : 1972 م .
- 5 - الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط : 1972 م .
- 6 - ابن تومرت : محمد ، أعز ما يطلب تحقيق الدكتور عمار طالي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر : 1985 م .
- 7 - عنان : عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ط 1 1990 م .
- 8 - حسن : الدكتور حسن علي ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " : عصر المرابطين والموحدين "مكتبة الخانجي ، مصر ط 1 1970 م .
- 9 - المراكشي: محيي الدين بن عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة: ط 1 1949 م .
- 10 - بالنثيا : آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : ط 1 1955 م .
- 11 - دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : د.ت .

- 12 - نجار: رمزي، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الآفاق الجديدة، بيروت: ط2 1979 م.
- 13- ابن القاضي: أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط: ط1 1974 م .
- 14 - الجارري : الدكتور عباس ، الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي " عصره حياته وشعره " دار الثقافة ، الدار البيضاء : ط2 1984 م .
- 15 - مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، والأستاذ عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء : ط1 1979 م .
- 16 - الحسيسن ، عبد الهادي أحمد ، مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي ، مطابع الشويخ " ديسبرنس " تطوان : ط1 1982 م .
- 17 - أشباخ : يوسف ، ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط2 1996 م .
- 18 - فروخ : الدكتور عمر ، تاريخ الأدب العربي " عصر المرابطين والموحدين " ، دار العلم للملايين بيروت ط1 1982 م .
- 19 - عبد الملك الأنصاري : أبو عبد الله محمد بن محمد ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ج5 تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت : ط1 1965 م .
- 20 - ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت: د.ت.
- 21 - ابن الخطيب : لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة : ط2 1973 م .
- 22-Encyclopédie de l'Islam Edition c.p Maisonneuve et l. arose S.A. Paris 1993 .